خوذة الإله

"نسق"

فلسطين – نابلس – شارع تونس

بجانب مسجد أم سلمة

خوذة الإله

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الطبعة الأولى

2026م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

إهداء

إلى كل من عاش طيلة حياته مطحون بالمادية..
إلى كل من كان بينه وبين الإله قطيعة ابستمولوجية..

فلتعلم أن الفيلسوف الوجودي الفرنسي "جان بول سارتر" كان ملحداً، وطوى صفحات حياته متمرداً على السماء، وعندما زارهُ الموت، ولفّ حول أنفاسه قال لمن يتربعون حوله: "اجلبوا لي قسيساً لكي يعمّدني"، فصُدم الجميع من طلبه هذا! فقد كان سارتر ملحداً مؤمناً، ثم وقبل أن يلفظ زفراته الأخيرة قال عبارتهُ المشهورة: "يبدوا أن هناك ثقب في عقل كل إنسان لا يملؤهُ إلا الله".

المقدمة

بقلم الكاتبة والشاعرة / رتيبة محمد سليم

حول الفيلسوف والمفكر الإسلامي والأديب الفلسطيني م.محمد نبيل كبها

وُجِد الحرف في داخله... وكان السؤال عنده أقدم من الإجابة لذلك لم يكن الفيلسوف والمفكّر محمد نبيل كبها مجرد كاتبٍ يعبر بين الكلمات، بل عقلًا يسير في دهاليز الفكر والروح والإنسان باحثًا عن المعنى الأعمق خلف الأشياء.

منذ طفولته الأولى حيث تشكّلت ملامح وعيه بين المساجد وحلقات العلم والتنقّل بين فلسطين والسعودية والأردن ومصر، كان يحمل داخله مشروع إنسانٍ لا يكتفي بما يُقال علنا بل يحاول أن يرى ما وراء القول ذاته.

الفيلسوف محمد نبيل كبها واحد من المثقفين النادرين الذين جمعوا بين العقل العلمي والروح التأملية، فالهندسة لم تمنع نزعة التأمل في داخله، كما أنّ المعرفة الدينية التي يحملها لم تمنعه من طرح الأسئلة الوجودية، والفلسفة لم تفصله عن الإنسان العادي وقضاياه اليومية. لذلك كانت تجربته الفكرية والأدبية مزيجا بين العقل والعلم، بين البرهان المادي والحدس، فجاءت كتاباته متنوّعة فيها من الفلسفة والرواية وقضايا الدين.

في عالمنا الذي إمتلأ ضجيجًا وانقسامًا، حاول أن يكون صاحب خطاب متفرّد، خطابًا يؤمن بأن الفكر الحقيقي لا يُبنى على التعصّب و الخلاف بل على الوعي، وأن الدين ليس خصمًا للعقل البشري بل اهمّ أبواب المعرفة ولهذا توجّه نحو معالجة القضايا الفكرية والوجودية والمواضيع الإنسانية بلغة تجمع بين العمق والبساطة، وبين الفكر الفلسفي والبعد الروحي التأمّلي .

لقد عرفه القرّاء فيلسوفاً ومفكرًا إسلاميًا مستنيرًا، وأديبًا يتبع اسلوب السرد في الفلسفة، وباحثًا يغوص في العلوم الطبيعية والإنسانية بعقلية موسوعيّة .

غدا اسمه حاضرًا في عدد كبير من المنصات الثقافية والفكرية العربية والدولية، لتعدّد اهتماماته بين الأدب والفكر والبحث العلمي والنقد والخطابة والإعلام في تجربةٍ ثريّة لا تؤمن بالحدود الضيقة للمعرفة، حيث لم يكن يبحث عن الشهرة في مؤلفاته المتعددة بقدر ما كان يبحث عن الإنسان نفسه، لذلك جاءت كتبه أشبه برحلات داخل أسرار النفس البشرية، ومحاولات مستمرة لفهم العالم وكشف التناقضات التي يعيشها الإنسان المعاصر في زمن ضاع فيه اليقين.

إن تجربة الفيلسوف محمد نبيل كبها ليست مجرد سيرة كاتب أو مفكر بل سيرة عقلٍ نيّر يحاول أن يبيّن لنا الترابط بين العلم والدين، وبين الفلسفة والروح وكل هذه الصراعات التي نجدها بين الإنسان وذاته . ولهذا نرى كتاباته أقرب إلى مرايا فكرية يجد القارئ فيها حيرته وتساؤلاته الخاصة، لا مجرد أفكار مؤلفها.

مقدمة حول كتاب وقصة (خوذة الإله)

بقلمِ كاتبٍ لا يكتبُ ليُقنعك، بل ليوقظ فيك شيئًا من اليقين، فهذه الصفحات ليست ترّهات فارغه، إنها وجدان دفينة قد تختزل فيها سريرتك مالا تستطيع الإفصاح به، وقد تهرب منها لأن الحقيقة عكس ذلك .... فأنا هنا لا لأقدّم أجوبة نهائية بل لأعيد طرح الأسئلة العميقة التي تنقذ الإنسان من شرود فكره المتباين، أكتب لأن الكلمات التي قرأتها تشفي غليل القارئ من عجز روحه عن البوح، فيجد بين السطور غذاء لفكره فاعلم أنّ الفكر يولد أحيانًا من تساؤل، لأنّ الإنسان خُلق ليقاوم عتمته، لا ليستسلم لها.

هناك أسئلة لا تموت ...بل تبقى عالقةً في الظلّ، تنتظر عقلًا جريئًا بما يكفي كي يقترب منها، أسئلةٌ خافتة، لكنّها قادرة على تمزيق يقين الإنسان من الداخل : ماذا لو كان الموت ليس نهاية؟ وماذا لو كانت الروح... حقيقةً علمية لم يكتشفها البشر بعد؟

منذ آلاف السنين، والإنسان يقف أمام الموت كما نقف امام باب مُغلق نجهل ما يخبّأه لنا نحاول إستراق السمع فلا نسمع سوى صوت الصمت الذي يرحل بخيالاتنا إلى قصص وروايات من نسج عقولنا التي لا تستقرّ على رأي حيث نرى الحياة بعد الموت نهاية وتارة نقول عنها بداية ....

لكنّ الحقيقة تأبى إلاّ أن تكون مختبئة خلف ذلك الباب الموصد مترفّعة عن اليقين البشريّ، نعيش مطمئنين داخل ما نفهمه طالما نحن نستطيع إدراك كلّ الأشياء المحيطة بنا ونجد تفسيرا مقنعا لأفكارنا المتمرّدة إلى حدود الوهم الذي يتمكّن من عقولنا ويحتلّ ملكاته ليقنعنا أنّنا نستطيع مسك الحقيقة كامله، وننسى أنّ أكثر الأشياء عمقًا في هذا الوجود لا تُرى بالعين المجرّدة، ولا تخضع بسهولةٍ لمنطق البشر، فهناك دائمًا منطقة غامضة يعجز العقل عن اقتحامها والغوص فيها بالكامل، منطقة تقف بين الشّك واليقين.

الإنسان رغم كلّ تقدّمه يعجز أمام بعض الأسئلة القديمة قدم الوجود ... ماذا تعني الحياة والموت؟ ما هي الروح؟ كيف تنفصل عن الجسد بعد الموت؟

الكون من الخارج منظّمًا ودقيقًا، لكنّه يحمل في العمق أبواب موصدة حين يقترب منها الإنسان أكثر مما ينبغي لا تمنحه الجواب، بل تجرّده من الطمأنينة، لأنّ أخطر ما قد يكتشفه المرء ليس جهله للحقيقة، بل إكتشاف يقينه الهشّ دون أن يدري .

هذه ليست قصة عن الموت و الروح، بل عن الحدود التي يقف عندها العقل البشري قبل أن يبدأ في التساؤل عن الحقيقة ونسبيتها التي يصبح فيها السؤال أوسع من الإجابة، وأكثر رعبًا من الحقيقة نفسها .

هذا الكتاب ليس دعوةً للغوص في ما وراء الخلق، بل دعوة لأن نصغي إلى أصواتنا الداخليّة بعيدًا عن ضجيج الأنا، ونتعلّم أن نرى العالم بعينٍ أقلّ غرورًا...وأكثر إنسانيّة .

هو ليس محاولة للإجابة بل محاولة للسقوط داخل السؤال ذاته، سؤالا يحملنا إلى سفر الذات، بين العقل الذي يطلب البرهان، والروح التي لا تظهر تحت مجهر العلم، ليجد الإنسان نفسه أمام إستفهام هربت منه الحضارات كلّها :هل نحن مجرّد جسد بيولوجي مؤقّت؟ أم أنّ داخل هذا الجسد شيئًا أقدم من العظام وأبقى من الزمن؟

تبدو لك هذه الصفحات مجرّد رواية خيالٍ علمي من وحي مخيّلة كاتبها الفيلسوف والمفكر الإسلامي محمد نبيل كبها، لكن لا ننسى أنّ الخيال أحيانا هو فكرة أو علم لم يولد بعد..

بقلم الشاعرة والكاتبة / رتيبة محمد سليم
تونسية الجنسية

توطئة

لقد تحدث الفيلسوف اللاهوتي والفيزيائي الفرنسي "بليز باسكال (Blaise Pascal)" عن الفراغ الأنطولوجي، فنثر في كتابه الشهير "خواطر (Pensées)" يقول بأن الإنسان يولد وفي قلبه -عقله- فراغ مطلق لا يمكن شغله بالأشياء المادية أو تعبئته بالشهوات، بل فقط بشيء مطلق لا نهائي وغير متغير، وهو "الله".

ولقد استخدم الفيلسوف الوجودي الملحد "جان بول سارتر" أثناء نزاعه هذه العبارة "يبدوا أن هناك ثقب في عقل كل إنسان لا يملؤهُ إلا الله"، دلالة على المعضلة الوجودية للإنسان، والتي وصفها بـ "حفرة بحجم الإله" (A hole the size of God) والتي أشار بها الى الفراغ الوجودي الذي تحدث عنه بليز باسكال، والذي لمسه حقّاً ساعة وفاته.

صديق سارتر المقرب الفيلسوف والكاتب الفرنسي "بيني ليفي" (المعروف ببيير فيكتور) والذي كان سكرتيره في سنواته الأخيرة، أفاد بأن سارتر طرأ عليه تغير جذري في قناعاته قبل موته، وأنه انتهى إلى الإيمان بوجود خالق.

بينما الكاتبة الفرنسية "سيمون دي بوفوار" اعتبرت أن سارتر يُعاني من ضعف في البصر والجسد جرّاء تقدّمه في السن، ما جعله يقع تحت الهلوسات!! فوصفته بهذه العبارة (هلوسات رجل عجوز).

كان الابنة الكبيرة تشك بأمها أنها على علاقة مع حبيبها، حيث كان حبيبها يتودد إلى أمها كثيرا، وكان نقطة التعالق والتثاقف بينهما أنهما ملحدان، بينما كانت الفتاة مؤمنة مسيحية.

وفي أحد الأيام اعتذر حبيبها عن المجيء، في الوقت الذي خرجت فيه الأم في ساعة متأخرة من الليل، فدفع الفضول الابنة لكي تركب الطريق لتتبع خطوات الأم.

وفي مرمى نظرها ركنت الأم مركبتها، ودخلت الى مكان مُتَنَاءٍ، فلحقتها الابنة، وعندما دخلت خلفها فوجئت بأنها في قلب معمل تجريبي، وكانت الأم مندكّة بإجراء تجارب على بعض القطط.

فسألتها الابنة وهي في حالة ذهول ذائع: "ماذا تصنعين؟".

الأم: "لماذا تتلصصين خلفي؟"

الابنة وهي تحاول ضبط نفسها: "لا شيء".

الأم بامتعاض: "كنت تظنين أنني أركض خلف حبيبك.. أيس كذلك؟".

الابنة مطأطأة رأسها: " إي.. إي.. إي.. ما هذه الخوذة؟".

الأم: "اجري بها تجارب".

الابنة: "على هذه القطط؟".

الأم: "دعك من المراوغة.. لماذا كنت تتبعينني؟".

الابنة: "تتركيني في معظم الأيام لساعات طويلة من أجل العبث في حياة القطط!".

الأم: "انها قطط عمياء، وأنا أحاول أن أسقط بعض التجارب العلمية عليها لعل الصدفة تشتغل ويحدث التطور، ويخرج من بطنها من يبصر".

الابنة: "هل يمكنك جعل هذه القطط العمياء أن تبصر من جديد؟"

الأم: "لا أعلم.. ولكن قد أنجح في نهاية المطاف".

الابنة: "هل تجدين هذه فكرة جيدة؟".

الأم: "هل تجدينها فكرة سيئة؟"

الابنة: "أعتقد انك في خطر".

الأم: "وأي خطر؟".

الابنة: "أن تلعبي دور الاله!".

الأم: "أنا أؤمن بالعلم التجريبي، ولا يوجد أي دليل على أن هناك كائن خفي، أو روح شبحية، أو شيء خلف الطبيعة، أو مصمم أو خالق أو اله يعيش فوقنا، ولو كان وجود هذا الإله حقيقية، لما لا يتدخل لجعل هذه القطط تبصر؟ منذ أن بدأت تجاربي معها قبل عشرة سنوات، لم يحدث ولو مرّة واحدة أن قفز هذا الإله وجعل هذه القطط تبصر؟!".

الابنة: "وهل التطور قادر على جعل هذه القطط العمياء تبصر؟".

الأم: "بالتأكيد.. ستحدث الطفرة في النهاية، وستتمكن هذه القطط من الإبصار".

الابنة: "وماذا لو فعلنا العكس؟".

الأم: "ماذا تقصدين؟".

الابنة: "جمعنا قطط مبصرة، وأجرينا عليها تجارب حتى حلول الطفرة، وخرج منها قُطيط أعمى؟!".

الام: "يستحيل أن يحدث ذلك؟".

الابنة: "لماذا؟".

الام: "لأن الارتقاء في التطور يكون للأفضل".

في هذه الأثناء سقطت الابنة مغشي عليها، فنقلتها أمها إلى المشفى، ليتبين أنها حامل.

مع مرور الوقت وضعت طفلها، وبعد أشهر وضح أنه أعمى، فسألت أمها: "بما أنك تؤمنين بالعلم والتطور، كيف جاء طفلي أعمى، مع أنني أنا وحبيبي نبصر؟ والخريطة الجينية للعائلة لا يوجد فيها أي شخص أعمى؟"

الأم: "هذا تصور غير دقيق علمياً، فالتطور يعتمد على العشوائية في الأساس، وأثناء انقسام الخلايا وتمرير الحامض النووي (DNA) من الآباء إلى الأبناء، تحدث أخطاء نسخ عشوائية تسمى طفرات، فقد يكون

الأبوان مبصرين تماماً، لكنهما يحملان "نسخة مخفية" (جين متنحي) لخلل جيني يسبب العمى لطفليهما، ثم إن العلم أصبح قادراً على تعديل وحقن جينات سليمة مثل جين "AIPL1 " لإعادة البصر للأطفال الذين ولدوا عمياناً بسبب طفرات وراثية ".

الابنة: "وهل التطور قادر على إحياء الموتى؟ هل هو قادر على بث الروح في الميت وإعادته للحياة؟".

آنا صوفيا "الأم": "الروح ميثولوجيا اخترعها الإنسان، لتفادي رعب الفناء، وسأتيقن من ذلك قريباً جدّاً".

في اليوم التالي ولجت "آنا صوفيا" في غرفة يتخللها الغَبَش، فتحت الستار القابع أمام سرير مهترئ ترقد فوقه فتاة على حافة الموت -في لحظاتها الأخيرة- ثم اتجهت آنا الى منضدة دائرية الرأس بجانب السرير، ومدّت بيدها لتلتقط ملف كُتب عليه التالي:

الاسم: نشرَوان.

الساعة: 11 ظهراً

العَقّار: السيلوسيبين.

الكمية: 130 ملليتر / ساعة

التاريخ: 2011/11/11

وأثناء تمعنها بالملف قالت لها صديقتها "دامارا": "سوف تموت قريباً!! يجب أن نسرع، وإلا فإنها ستتمكن العبور من بوابة الموت!!".

فسألتها آنا صوفيا: (أصدقيني القول.. هل فعلت شيئا يضر بحياة "نشرَوان" ولو عن طريق الخطأ؟)، فردّت " دامارا": (كلا.. أبداً!! لقد فحصت جُل العمليات الحيوية الخاصة بها، وقمت بأخذ عينة من دمها، ومن مخرجاتها كالبراز والبول، وكانت كلها سليمة!!).

تمقتت دامارا: "يجب أن نتعجّل وإلا سنفقدها.. اللحظات الأخيرة مهمة الآن!! دقيقة واحدة منها وستضح الأمور على حقيقتها!!).

آنا صوفيا مستفسرة: "هل تأكدتم من بياناتها؟"، فأجابت دامارا: "لا عائلة لها.. ولا أصحاب أو مقربين.. ولم يزرها أو يتفقدها أحد منذ أن جلبناها إلى هنا، ولو حتى باتصال!".

حدّقت آنا صوفيا للأعلى، ثم هبطت بأعينها نحو دامارا وقالت بصوت ثخين: "هل هناك آية أوراق رسمية خاصة بها؟".

دامارا: "كلا.. ليس لها أي سجل في الدوائر الحكومية، ولا يوجد ما يثبت أنها مُدرجة أصلاً لدى الدولة".

آنا صوفيا: "متأكدة؟ كوني صادقة معي دون مواربة؟".

دامارا: "100%".

بكلمات تحمل حمولات المحاباة العلمية دفقت آنا صوفيا هذه الكلمات: (العين هي العضو الحسي المعقد الذي يستخدمه المتدين لتكذيب التطور.. حيث يؤمن المتدين أن العين هي البرهان على وجود مصمم ذكي! وأنا كعالمة تطورية لا أؤمن بوجود إله، لذلك أسعى إلى إنهاء هذا الجدل عبر هدم فكرة وجود مصمم ذكي من خلال البراهين العلمية، وبيان الحقائق المتمحورة في علم الأعصاب "Neuroscience").

ترقرق في عين "ليا" نداوة، وبنفس حزين قالت لآيا صوفيا: "لماذا تسعين إلى دحض فكرة وجود الخالق؟ أعتقد أن دافعك هو سيكولوجي في بادئ الأمر، ثم سوسيولوجي".

آنا صوفيا بملامح منتصبة: "من الذي أثبت وجود الإله في المقام الأول يا ليا؟".

ليا: "العلم".

آنا صوفيا: (العلم الذي تؤمنين به والذي انتهى بك الى الإيمان بوجود إله وخالق ومصمم ذكي لهذا الكون، هو نفسه الذي برهن أنه لا يوجد إله أو خالق لهذا الكون عبر هذه العين!! بل إنه التطور الذي نحّى الرب عن أسطر هذا الوجود الموضوعي.. وسأثبت ذلك قريباً).

أدارت "آنا صوفيا" برأسها نحو "ليا"، وبوجه صارم قالت: "أريني هذا الاله؟! أين هو كي أؤمن به؟!".

بصوت مكفهر ردّت ليا: "لا أستطيع!".

آنا صوفيا: "لماذا؟".

ليا: "بكل بساطة.. لأنه شيء لا يرى بالعين المجردة!".

ابتسمت آنا صوفيا ابتسامة لاذعة تطايرت عبرها هذه الكلمات: "ألا ترين!! العين نفسها تُثبت عدم وجود إله وخالق لهذا الكون!!".

تيبس فم ليا كقطعة الخشب، وغاب الرد المطمور في ظل قوانين الطبيعة التي تمنعك من القفز خلف كل ما هو ورائها، وضحكت آنا صوفيا ملئ شدقيها بفوزها عبر هذا التكنيك الكولونيالي نحو تمزيق كل ما هو ميتاقيزيقي.

في هذه الأثناء مرّ الداينر -فنّي المشرحة أو خادم الجثة- وقال بصوت عالٍ: "تفقدوا المشرحة لو سمحتم".

قالت آنا صوفيا: "حان وقت حصاد الأعضاء".

بأحرف مطوقة بحواف الاستفسار، سألت دامارا: "ماذا تقصدين؟".

آنا صوفيا: "تعلمون أن هناك ما يُعرف بالاتجار بالأعضاء والجثث، لماذا لا نلعب على هذا الخط؟".

بصدر ممتلئ بسيالات الحنق قالت ليا: "إذا ماتت يجب أن تُسرّح بشكل قانوني!!".

طرقعت أصابعها آنا صوفيا، وبنبرة حادّة صاحت: "إنها مريضتي.. وأنا المسؤولة عنها.. وبجعبتي القرار، ولا يمكن لأحد أن يملي علي ما أفعله".

كانت دامارا وليا يتبادلان نظرات الاستهجان حول أوتوقراطية آنا صوفيا، ثم بسؤال مبلل بالخوف سألت دامارا: "وماذا لو لم نفعل؟".

مالت آنا صوفيا برأسها الى الأمام قليلا، وبعبارات تحمل نوعاً من التهديد قالت: "ستتعرقل قضاياكم في العمل".

تنهّدت دامارا، وانحنت ليا كالقوس، وفي غمرة صمتهما نادت آنا صوفيا: "انقلوا الفتاة الى المعمل قبل أن تنتهي ورديتكما".

أخذت دامارا تُخطط بصحبة ليا آلية إخفاء الفتاة عن الأنظار من أجل نقلها إلى المعمل، وفي هذه الأثناء راحت أنّا صوفيا تحتسي فنجان من القهوة في أحد المقاهي المقابلة للمشفى.

مكثت آنا نصف ساعة في المقهى ولم يردها أي اتصال من طرف دامارا أو ليا، حتى سال طوفان من الغضب في أركانها خشية وقوع حدث خارجي، فأمسكت بهاتفها واتصلت بدامارا: "أين أنتن؟ وهل نقلتن الفتاة؟".

ردت دامارا بلسان مثلوم: "لقد وضعناها في مركبتي، وها نحن نتجه نحو المعمل الآن".

آنا والقلق ينفغر من فاها: "هل مازالت على قيد الحياة؟".

دامارا: "أجل.. إنها ما زالت تتنفس".

كسرت الابتسامة ملامح آنا الصارمة، وقالت لدامارا: "حسناً.. عجّلوا بها نحو المعمل، وسألحق بكن، ونلتقي هناك".

أغلقت آنا سماعة الهاتف بعد أن استعادة طمأنينتها أن نشروان مازالت على قيد الحياة، وركبت الطريق على عجالة، وكان الليل يدق باب السماء، وعندما وصلت وجدت مركبة دامارا مركونة بجانب باب المعمل.

ركنت آنا مركبتها الى جانب مركبة دامارا، وترجلت منها، واندفعت نحو باب المعمل، دخلت واتجهت نحو غرفة معزولة وكأنها مقبرة عظيمة، أشبه بمشرحة علمية "Morgue"، أو مختبر تشريحي (Anatomy Lab)، مزوّدة بأحدث الأدوات والأجهزة والمعدات.

كان في وسطها سرير تشريح آلي، وكأنه منصة طبية وعلمية، مزود بكل المستشعرات والتقنيات والأدوات والمعدات الحديثة، مصنوع من الفولاذ الغليظ والمقاوم للصدأ (Stainless Steel)، ومزود بنظام تصريف للسوائل.

على يساره كانت هناك أدوات القطع والتشريح، ومشارط (Scalpels)، ومقصات طبية، وملاقت (Forceps)، ومناشير يدوية وكهربائية (Autopsy Saws)لفتح العظام القوية.

وعلى يمين السرير كان هناك أدوات كأنابيب وريدية وجارورية لسحب الدم والسوائل، واستبدالها بمواد التحنيط مثل "الفورمالديهايد" لحفظ الأنسجة، الى جانب الماصات الدقيقة (Micropipettes) لنقل كميات ضئيلة جداً من السوائل بدقة متناهية.

أمّا في زاوية الغرفة من جهة اليمين كان هناك معدات الحفظ، كثلاجات ومجمدات خاصة لتخزين الجثث في درجات حرارة منخفضة لمنع التحلل.

وفي زاوية الغرفة من جهة اليسار كان هناك المجاهر (Microscopes) لفحص عينات الأنسجة والخلايا مجهرياً لتحديد الأمراض أو الإصابات، وأجهزة التصوير "كاميرات توثيق جنائي وأحياناً أجهزة أشعة -X-ray- أو تصوير مقطعي لفحص الكسور والأجسام الغريبة قبل البدء بالتشريح"، وأنظمة التهوية "للتخلص من الروائح الكريهة وأبخرة المواد الكيميائية السامة المستخدمة في الحفظ".

أما خلف السرير كان هناك معدات التنمية والتحضين، كالحاضنات (Incubators)لتوفير بيئة حرارية وغازية مناسبة لنمو الخلايا أو الميكروبات، الى جانب أطباق بتري (Petri Dishes) لزراعة البكتيريا أو الفطريات على أوساط غذائية، ومعدات الفصل والتحليل، كأجهزة الطرد المركزي (Centrifuges) لفصل مكونات الخلايا أو عينات الدم بناءً على كثافتها، وأجهزة الطرد المركزي (Centrifuges) لفصل مكونات الخلايا أو عينات الدم بناءً على كثافتها، ومعدات التعقيم والحماية، كالموصدة (Autoclave) وهو جهاز يستخدم الضغط والحرارة لتعقيم الأدوات وقتل الميكروبات، علاوة على وجود خزانة السلامة البيولوجية (Biosafety Cabinet) لمنع تلوث العينات ويحمي من العدوى.

أما العجيب فقد كان أمام السرير، خوذة!! أشبه بمِغفر الجندي أو خوذة الجيش، لونها أزرق، مكونة من ملفات لولبية (Solenoids) تتركب من

ثمانية ملفات مغناطيسية صغيرة، تتوزع كأربعة أزواج على جانبي الرأس.

أما عن حزمة الأسلاك التي تخرج من الملفات المغناطيسية، فإنها تتصل بجهاز حاسوب عبر وحدة تحكم ("صندوق أسود") لتوليد حقول مغناطيسية ضعيفة.

بالإضافة إلى ملحقات موضوعة الى جانب الخوذة، كجهاز الحاسوب الذي تتصل به الملفات المغناطيسية الخاصة بالخوذة، ووحدة تحكم -عبارة عن جهاز صغير بالمنتصف يصل الخوذة بجهاز الكمبيوتر لتنظيم تدفق الإشارات الكهربائية- وعصاب للعينين "قناع".

كان هذا السرير العجيب يقبع داخل زجاج ذكي مربع الشكل، وكان الزجاج ذو تقنية متطورة من الزجاج، تدمج ما بين القوة الميكانيكية والخصائص الكهربائية، وكان موصول بالكهرباء، ويحتوي على طبقة من الكريستال السائل (PDLC).

لحظات من الشرود كانت تغلف ملامح دامارا وليا وهن يقفن الى جانب الزجاج المحيط بالسرير، حتى ولجت آنا الى الغرفة، وبنبر مسنونة قالت: "ستكون هذه المرحلة حرجة، والتجربة شديدة الخطورة".

بعد أن خفّت وتيرة الضغط المصحوبة بسوء المزاج لآنا، أبدت هذه الملاحظة: "فيما يتعلق بمريضي يا دامارا وليا، ربما أستطيع تخفيف خوفكما عبر أن أريكما عظيم هذه التجربة".

بمشاعر ممتعضة طرحت ليا استيضاحاً: "هل ستكون هذه التجربة أداة لتفكيك الزمن كي نرى أن الروح كذبة؟!"

آنا: "ستتوقف حركة التنفس فوق هذا السرير وداخل هذا الزجاج الذكي، ليُسمح لها بالموت والعبور عبر البرزخ، إنه اختبار تركيبة الإنسان داخل هذا الوعاء الزجاجي.. وسنرى الحقيقة حينها!!".

ليا والغضب يقتلها: "تريدين امتحان مكنون الجسد في حدود الطبيعة والمادة؟! وكيف للطبيعة اختبار ما فوق الطبيعة؟ ثم أين الأخلاقيات في هذه المشرحة اللعينة وصون كرامة المريض امتداداً لواجبنا الإنساني والمهني؟ ثم هل نحن من سيقرر متى يحيى ومتى سيموت مريضك!!".

ضبطت آنا أنفاسها، ولبرهة لم تنطق، وقالت نظراتها كل شيء، الى أن فتحت فمها وأرسلت هذه الكلمات: "نحن لن نقرر أي شيء.. نحن سنراقب فقط".

ليا: إنها حقارة على أشدها".

آنا: "وكيف ذلك؟"

ليا: "بتحويل حياة شخص إلى ميدان ارتقاب وترصّد للموت، بدلا من انعاشه علّه ينطلق إلى الحياة مرة أخرى".

آنا: " كُفّ عن المواعظ.. نحن في خضم أهم تجربة علمية في التاريخ، والتي ستنهي الجدل الى الأبد، وتحدد الإجابة الحقيقية نحو السائح الأسطوري الذي يدور في أجسادنا؟".

زجّت دامارا بنفسها وسط هذا النزاع الجدلي القائم بين آنا وليا: "كفاكما.. هيا نبدأ العمل".

آنا: "وهو كذلك.. سنشيد شبكة ذرية سميكة الجزيئات".

دامارا: "مِن ماذا تتكون؟".

آنا: "سنحيط الزجاج الذكي المحيط بالسرير بكل أنواع أجهزة الكشف التي يمكننا استخدامها، من ضغط الهواء، الحركة، مستشعر الضوء، الأشعة فوق البنفسجية، الأشعة تحت الحمراء، جميع الأطياف، ودرجة حرارة تصل الى المئة، وجزء من الألف من التيار المغناطيسي والكهرومغناطيسي"، ثم أكملت آنا تشرح:

"سنضع الخوذة على رأس نشروان، ونثبت الملفات المغناطيسية فوق الفصين الصدغيين -الجانبين- من الرأس مباشرة، ثم سنقوم بوصل الملفات بجهاز الحاسوب لتوليد الإشارات الكهربائية (Function Generator) لإرسال أنماط موجية محددة للملفات، وسنبدأ بتحفيز الدماغ وإنتاج مجالات مغناطيسية متغيرة تحاكي أنماط النشاط العصبي في الدماغ، بحيث لو شعرت نشروان بوجود شيء غير مرئي في الغرفة، أو خرجت من جسدها، فهذا يعني وجود قوى فوق الطبيعة، وسيلتقط جهاز العرض ذلك عبر الخوذة، ويؤكد وجود العالم الآخر، ولكن هذا يتطلب من نشروان

أن تكون على قيد الحياة، أما في حالة موتها فيجب أن يظهر أي طيف أو أي شيء غريب -سواء من الأمام أو الخلف أو عن اليمين أو عن اليسار أو من فوق أو من تحت- بحيث سينشأ نمط موجي قابل للقياس، وهذا الزجاج سوف يلتقطه، ويمكننا أن نرى حينها أي شيء غريب".

سارت ليا بعض خطوات، وكانت تضع يديها خلف ظهرها، ثم خرج صوتها الداخلي عبر حنجرتها يقول: "أنا مهتمة حقاً بالتحقق التطبيقي والاستقرائي للجنس الآدمي إبان هذه التجربة العلمية والتي يراد منها إعادة مفهوم الإنسان في ظل هذا الدّمار الذي أحدثه فيه العلم روحاً ومعنى، هذا العلم الذي أعاد تشكيل الذات الإنسانية من خلال المادة، عبر علماء الداروينية وأنصار التطور! وكيف يقوم العلم من خلال التطور بتفكيك المفاهيم الماورائية وهو لا يعرف إلى الآن أن يرى وجه الزمن؟! مع أن الزمن حقيقة تتخلل الذات الإنسانية، إلا أن العلم فشل في ساحة المعركة الوجودية بالإمساك به، وسعى لبناء لغة جديدة واقفة على الصدفة والطفرة والجين الأناني وغيرها من مخرجات العلوم اللاخطية".

ثم توقفت ليا، وأطلقت يديها، واستدعت جوهر كمثال: "إن وجود الروح لا يعرف الموت أو الفناء، كل ما يعرفه هو الانتقال، وكل ما علّمني إياه العلم وما زال يعلمني إياه يعزز إيماني باستمرار أرواحنا وانتقالها بعد الموت".

آنا في محاولة جلب الحوار العلمي الدوغمائي: (الروح.. أنا أرفض كعالمة أحياء تطورية المفهوم الديني التقليدي لـ "الروح" على أنه كيان غير مادي فوق الطبيعية يسكن الجسد، ولديه الوعي، وينفصل عن الجسد عند الموت، ويستمر بعده!! هذه فكره ساذجة عفا عليها الزمن يا ليا، العلم يؤكد أن الوعي البشري هو نتاج معقد للعمليات الكيميائية والكهربائية في الدماغ، وليس نتاج خزعبلات كمسألة "الروح"، فالروح ليست قوى خارقة وإنما تراكمية وعرفانية عبر تطورنا البيولوجي الذي منح للحياة معنى دون الحاجة إلى قوى خارقة أو دين أو إله "خالق ومصمم").

استندت آنا على الزجاج الذكي المحاط بالسرير، وأخذت تتفحص نشروان بنظرات عميقة: (على كل حال.. العلماء والأطباء ليس لديهم حكر على العنصر الروحي كما يعتقد المؤمنين أمثالك "ليا" وأمثال كل المسيحيين

الذين يؤمنون بالسيد المسيح، والروح القُدس التي قفزت من جسده المصلوب لإنقاذ الجنس البشري!!).

انفغر فاه ليا رغما عنها: (ولهذا تسرقين جسد نشرَوان! لكي تختبرينه بخوذتك اللعينة؟! يبدوا انك لست على يقين بما تعتقدين يا آنّا!! نحن أمام اغتراب ثنائي، الأول هو اغتراب فكري تحت تأثير العلم الذي يصادر حق التفكير الإنساني الحر، والثاني هو اغتراب أنطولوجي والذي يصوّر لنا نظام درويني يلغي حقيقة الإنسان وجوهره "الروح").

لوهلة اخترق الغضب صدر آنا، وانقلب مزاجها رأساً على عقب: "اجلبوا الفتاة وضعوها على السرير لننهي هذا الجدل البيزنطي".

في هذه الأثناء طلت دامارا وهي تجر بكرسي متحرك ترقد عليه نشرَوان، وكانت في حال تودع به الدنيا، تلتقط شهقاتها وتطلق زفراتها بكل صعوب، فما أن رأتها آنا حتى طلبت فوراً بنقلها ووضعها فوق السرير الآلي المحاط بالزجاج الذكي.

صرخت آنا: "الحالة حرجة جداً.. أسرعوا.. يجب أن ننقذ الليلة".

ليا باستياء: "ألا يجب أن يكون هناك موافقة ضمنية وقانونية من أجل دراسة الحالة؟ أو حتى أن نستشير المريضة في طلب اذنها وموافقتها لدخول تجربة علمية هي الأعظم من نوعها؟!".

آنا: "لو نقلنا نشروان إلى المستشفى ستموت نكرة ووحيدة، فهي ليست لها عائلة تتفقدها أو أصدقاء يصلونها، أما وهي هنا بصحبتنا في هذه الغرفة، فإنها ستختم حياتها وهي مطمئنة، لأن ثلاثتنا حولها وبجانبها، إضافة إلى أنها ستموت بطلة، لأنها المشروع الذي سيحدث نقلة نوعية في اختبار الوجود الإنساني، وسد الثغرة بين العلم والدين، أما بالنسبة لطلب مشورتها في ذلك، فقد ترفض، لذلك يجب ايهامها أنها في المشفى لتلقي العلاج من أجل إتمام التجربة".

أمسكت آنا بذراعي نشروان بهيئة رقيقة، ثم رفعتها، وسندتها بيد، وبالأخرى جلبت السرير الآلي، ثم وضعتها عليه وهي تتمتم: "عندما ينقشع الليل ويأتي الصباح سيكون لموتك معنى".

أخذت دامارا تحوم حول السرير، ثم قالت: "ألا ينتابك الفضول يا ليا.. هيا نرى ماذا سيحدث؟".

تقدمت آنا نحو السرير ببطأ، واقتربت من وجه نشرَوان: "أريد حقنة ستيرويد لتقليل الضغط داخل الجمجمة، ومورفين لتخفيف الألم".

أخذت ليا تدلك منطقة الذراع برفق باستخدام قطنة، ثم قامت بإعطاء نشروان الحقنة وهي تقول لها: "ستكونين بخير ان شاء الله".

وفجأة ردت نشروان بصوت هزيل بعد صمت طويل: "كفي عن الكذب.. فأنت تعلمين أنني سأموت" وانطفأ صوتها بعد ذلك.

أسرعت دامارا وأطلقت زر تفعيل السرير، ثم وضعت الخوذة الزرقاء على رأس نشروان، وأحكمت ربطها، ودفعتها للخلف لتستقر فوق الجبهة، ثم قامت بتنشيط الخوذة، والتي انطلقت بتوليد حقول مغناطيسية ضعيفة ومتذبذبة حول رأس نشروان، وانتقلت صورة الدماغ الى جانب كامل الجسد عبر الأسلاك والوصلات الى جهاز الحاسوب.

كانت آنا تجلس أمام شاشة الحاسوب، وتراقب عن كثب أي تغيرات، فلحقت ليا ودامارا بها، وجثون الى جانبها يتتبعن العمليات عبر جهاز الحاسوب.

آنا: "لا يوجد لحظة حقيقية للموت.. فبنية الجسد شيء يُدوّن في استمارة ثم نتخلص منه بمجرد أن يتوقف القلب عن العمل".

ليا معرضة عن نقاش آنا: "مازلنا نرى النبض يتحرك عبر الشاشة".

آنا بإيماءة مستفزة: "لحظة الموت هي لحظة مادية".

ليا وقد انجرت خلف اغاظات آنا: "لحظة الموت هي لحظة مغادرة الروح من الجسد، وهي شرارة الرب التي تُعلن رحلة الروح وعودتها إلى منزلها الحقيقي".

دامارا محاولة تخفيف وطأة الاضطراب والحدية في النقاش بين ليا وآنا: "عندما يكون تدفق الدم الدماغي غير كافٍ لدعم الوظيفة المشبكية، أو عندما يتوقف التكوين الشبكي عن العمل يحدث الموت الدماغي، فالدماغ حساس للغاية لنقص الأكسجين والمغذيات، وأي انخفاض حاد في التروية يطلق سلسلة من التفاعلات المدمرة تؤدي الى موت الإنسان.. أليس كذلك آنا؟!".

في هذه اللحظة بدأت نشرَوان تنظر الى الأعلى وهي شاخصة بصرها، ثم يمنة ويسرة، انفعلت ليا: " انظروا.. انظروا الى المؤشرات في شاشة الحاسوب، وضعية التصلب الدماغي كاستجابة بدائية، ولكن عادة ما يحدث ذلك للدماغ".

التفت جميعهن حول شاشة الحاسوب في وضعية وكأنهن في سباق كبير لالتقاط أية حركة، لكن ما من جديد.. أخذ الملل يتسلل بهدوء الى المكان، ما جعل ليا تحاول كسره بحوار فلسفي: "إن السؤال الأساسي متواجد مع وجود الانسان.. وهو يتعلق بمسألة الايمان.. يا آنا.. أنت تحدقين كراقصة فوضوية نحو حافة الهاوية!".

آنا بتهكم: "أنت متعطشة جدا لقضمه صغيرة من شيء خيالي!! أؤكد لك أن المسألة مادية وعلمية أكثر من كونها ايمانية".

اثناء هذه اللحظة، انتاب جسد نشروان رعشة، حملقت عينيها الجاحظتين في سقف الزجاج، وراحت تدور ببصرها في زوايا الزجاج المحيط بالسرير، ضغطت بمرفقيها بكل قوتها على حافتي السرير، ثم قامت بظهرها في وضعية جلوس، ثم صاحت: "من أنت؟ قلي من أنت؟ هل أنت الموت! لا أريد أن أموت!"، وراحت تلهث، حتى شرعت نبضاتها بالانخفاض، ثم هوت على السرير، وأخذ نفسها يتقطع تدريجيّاً عبر فاهها المفتوح على مصراعيه حتى انقطع، وانطفأ النور في عينيها، واتسعت حدقتها، وبدأ البؤبؤ بالانزياح والانكماش بتمهل حتى توقف عند الحافة.

كانت ليا على وشك الانفجار العاطفي من خلف شاشة الحاسوب، قطرات الدمع تتهاوى من عينيها، ثم تأوّهت: "إنه الموت يا نشروان! إنه الموت! فلترقدي بسلام!".

في خضمّ التشظي الذي كان ينال من ليا، كانت دامارا وآنا مدفوستان بصمت في مراقبة العمليات الحيوية واللاإرادية لجسد نشروان (كدقات القلب.. الضغط.. الاكسجين..) وأثناء ما كانت آنا ساكنة وعاقدة حاجبيها ارتفعت العمليات التلقائية والذاتية لوضعها الطبيعي والمثالي لبضع ثوان، ثم هفتت مرة واحدة نحو الصفر، في هذه الأثناء شهقت نشروان شهقة مسموعة ثم غادرت الحياة.

تعجبت آنا، وحالة صمت خيمت لبرهة على أرجاء المكان، وشاشة الجهاز أضحت سوداء تماماً ولا توجد طاقة (No Power) وعلى حين غرة انفجر ليا بالبكاء: "إنه خطؤنا.. نحن من يُلام على موتها!".

رفعت آنا حاجبيها بالامتعاض: (أنت تعلمين أننا لا نستطيع فعل أي شيء من أجلها.. لا يمكننا إيقاف المنجل البيولوجي! لذلك لا يوجد رب.. لا يوجد إله أو خالق.. لأن المسألة كإبريق شاي راسل؛ فإذا ادعى شخص وجود إبريق شاي يسبح في الفضاء، لا يجب على الآخرين إثبات عدم وجوده، بل يجب عليه هو تقديم الدليل على وجوده، بينما الموت يسرق كل من أحببناه وعرفناه ولا يستطيع أحد إيقافه، لأن الموت موجود، والنهاية البيولوجية المطلقة والكاملة للوعي والوجود البشري، وقد قدّم دليله عندما سرق منا الآن حياة نشروان).

ليا: "دعيني وشأني".

اندفعت ليا نحو الزجاج الذكي تتأمل جسد نشروان الراقد في بطنه، وبعد بضعت دقائق لحقت بها آنا، وقفت بجانبها وهي تربط كفيها خلف ظهرها، ثم أمعنت النظر نحو جسد نشروان والذي بدا وكأنه يجري في حالة التخشب، ليجيبها صوتها الداخلي: "نعم.. لقد ماتت الآن"، ثم أطلقت موعظة ابيقورية: "الموت لا يعني لنا شيئاً؛ فعندما نكون موجودين لا يكون الموت، وعندما يأتي الموت لا نكون نحن موجودين".

كانت تعابير وجه ليا عندما تفوهت آنا بهذه الكلمات تنطق بالإحنة! وأشاحت وجهها عنها، وبدورها شقّت آنا خطواتها بنعومة حيال شاشة الحاسوب، أخذت تحدّق بها لتشغل نفسها عن خوض عراك جدلي ديالكتيكي، وفجأة وهي تغوص في الشاشة وتحديدا بجزئية الدماغ، أبدت أن هناك نشاط مفاجئ يحدث في دماغ نشروان ما بعد وفاتها ببرهة، حيث

رصدت الخوذة نشاطاً عالياً لموجات "غاما" يرتبط بالوعي، والذاكرة، والتجارب الإدراكية.

انتفضت دامارا: "ليا.. أسرعي!".

ليا: "ما الأمر.. دعيني وشأني".

دامارا بوجه صبوح: "إنها مازوركا الروح!!"

ليا: "ماذا تقصدين؟"، انقضت قدما ليا دون وعي منها نحو الشاشة، وما أن نظرت نحو الشاشة ولاحظت النشاط، حتى فقدت السيطرة عن بيان غبطتها بعينها لآنا، وبدت عليهما السعادة أن هناك شيء ما يحدث بعد موت نشروان، ولكن الابتسامة لم تدم طويلا، حيث كان هذا النشاط مؤقت.. فقالت آنا بتماسك: "هذا طبيعي، ولا يؤخذ به، فهذا النشاط هو آلية دفاعية أخيرة للدماغ، ويدوم لفترة قصيرة جداً -ثوانٍ إلى دقائق- قبل توقف الوظائف الدماغية تماماً، فموجات غاما في مناطق مسؤولة عن الوعي والإدراك -كالوصلة الصدغية الجدارية القذالية- قبل وبعد توقف القلب، ودماغ المحتضر قد يمر بحالة عالية من الإثارة، أو الهلوسة، أو استرجاع الذكريات.. لذلك ما حدث طبيعي".

لكن ليا صدّتها: "هذا غير صحيح.. نشاط الدماغ المؤقت هذا يفسر مرور حياة الشخص أمام عينيه، وإلا ماذا تفسرين أن النشاط كان يرتبط بأماكن الوعي، والذاكرة، والتجارب الإدراكية؟".

اقتحمت دامارا الحوار: "هناك تغير طفيف في وزن السرير الآلي، حيث انخفض قليلا".

اقتربت آنا من الزجاج الذكي المحاط بالسرير الآلي، فلمحت أثيراً ما يتحرك، اقتربت أكثر فإذا هي نشروان، ولكن كانت وكأنها طيف يقف عند زاوية الزجاج!

نادت بصوت صارخ: "نشروان!! إنها نشروان!!"، ثم أغشي عليها.

أخذت ليا ودامارا بوضع آنا في حالة إستلقاء على ظهرها مع رفع قدميها وتأمين تنفسها فوراً، ترقبوا حركة صدرها وتحسسوا نبضها، ثم شرعوا

بالإجراء المعروف باسم الإنعاش القلبي الرئوي (CPR) حتى عاد النفس، ولما أفاقت سألوها: "ماذا حل بك؟"، أجابت: "لن تصدقوا ماذا رأيت؟".

ليا: "جربينا؟".

آنا ووجهها كفحمة الليل: "رأيت نشروان!".

ارتاعت ليا ودامارا: "نشروان!! لقد ماتت.. كيف رأيتها؟".

آنا: "رأيت روحها!".

ضحكت ليا ضحكة هستيرية: "ماذا؟! رأيت روح نشروان؟!".

آنا: "أجل.. أقسم بالله أني رأيتها!!".

ليا: "لابد أنك تهذين.. لا يمكن رؤية الروح، أو التقاطها، فهي شيء غير مادي!"، ثم قالت في نفسها: "ما هذه الميلودراما الميتافيزيقية؟!".

آنا ضاغطة بشدة على كتف ليا: "بماذا أحلف لك أني رأيتها؟ انها تحوم خلف هذا الزجاج"، وأشارت بإصبعها الى الزجاج الذكي.

ركضت ليا ودامارا نحو الزجاج، ولكنهن لم يشاهدن أي شيء، حاولن الامعان عبر جهاز الحاسوب للعثور على أي شيء، ولكن دون جدوى، فقالت ليا لآنا: "انك تهلوسين، أو تكذبين، أو أصيبت عينيك بضرر ما بسبب فوتون أحدث ضربة في شبكية عينيك، أو تعرضت للجلوكوما".

وبكلمات مندفعة وسريعة: "إذا كان كلامك صحيحاً.. لماذا لم نرى روح نشروان -أنا ودامارا؟- أنا أؤمن بالروح.. ولكن لا يمكن أن نراها؟! لأنها كينونة غيبية مجردة وغير مادية، تقع خارج حدود الإدراك البصري البشري وآليات عمل الرؤية! ولا تغفلين يا آنا أنك نصبت كل هذه الأجهزة ووضعت الخوذة على رأس نشروان لتثبتي عدم وجود الروح! وهذا صحيح.. فمن الناحية العلمية الرؤية البشرية تعتمد على سقوط الضوء - الفوتونات- على جسم مادي، ثم ارتداده وانعكاسه إلى شبكية العين، وبما أن الروح لا تتكون من ذرات أو جزيئات تشغل حيزاً من الفراغ، فلا يمكن للضوء أن ينعكس عنها، لذلك لا يمكننا رصد الروح أو رؤيتها! لذلك أتمنى ألا يكون ما تفوهت به أسلوبا ساخرا كتهكم سقراط، أو هجومياً كريتشارد دوكينز ضد الأديان والغيبيات!".

آنا باستلام: "أعلم أنكن ستعتقدان بسقوطي بالوهم، أو تعرضي للهلوسات.. ولكن علينا أن نفتح الزجاج الذكي لكي تعود روح نشروان الى خالقها".

ليا والتعجب يتفشى في ملامحها: "أكاد لا أصدق!! آنا تعترف بوجود الخالق؟! عجيب!!".

كانت آنا قد نابها حال من فقدان التوازن الحركي، وصعوبة المشي، وتقلبات مزاجية حادة، لكن المخيف كان هو عدم وضوح الكلام والتشويش الذهني، وعلى غفلة قالت بلسان ثقيل: "روح نشروان تتّقد من الغضب.. وستحرقنا إن لم نفتح لها الزجاج لكي تطير!!".

نظرت ليا نحو دامارا وهي تهز رأسها بالاستنكار يمنة ويسرة، ثم انطلقن بها لأقرب مستوصف لتلقي العلاج، فلم تكن حالتها الذهنية تبشّر بأي خير.

وأثناء وضعها على السرير كانت تهذي، تنظر الى دامارا وتقول بعبارات غير واضحة: "روح نشروان.. تتّقد!!"، ثم نظرت الى ليا وقالت: "ستحرقنا.. أخرجوها!!"، فتعجبت الممرضة وسألت: "ماذا تقول؟!"، فأجابتها ليا: (إنها هلوسات امرأة عجوزة!!).

برقية إلى الله

أرسل هذه البرقية الى مولاي وحبيبي "الله سبحانه" وأعلم أنه أقرب إلي من حبل الوريد، ولكن ماذا أصنع بعشق رفع هذه البرقية لله سبحانه رغماً عني!؟

برقية إلى الله..

عالق في هذا العالم الخيالي الذي صنعته لي إزاء المفترس الفائق، أمام احتفالاته التي يقيم بها طقوسه الدينية الغامضة، محاولا تحطيم ما تبقى من مدينتي الفاضلة.

لقد كانت ميليتس موطن الفلسفة الطبيعية، وإفيسوس مركز الفلسفة الهرقليطية، وإليفسينا كانت مَرْفأ ترتطم فيه الأسئلة التليدة بالصيرورة الفيزيقية، وعندما سَقَطَت كنت أشتم رائحة عطر هناك.

تتبعت رائحة العطر بلهفة ودون اللهفة، كنت مسودة عريقة فيها، كنت ألمس جرحي العتيق فيها، كنت أتناولني وليمة قديمة فيها، كنت أتلوى كرقصة بولندية فيها، كنت أتجاوز سرديتي اللاهوتية فيها.. كنت وكنت وكنت، حتى أرشدتني روحي الى المقهى.

رأيتك بجانب المقهى، فدخلت اليه، كانت ترنيمة هوميروس تنتشر في المكان، الجالسون يتمايلون فوق بلاط المجون، وأنا أذوب في جرح من الخيالات لم يُرسم بعد.

وفي لحظة شبق سيكسولوجية سار الجميع في موكب تقودهم فيه عشتار، بينما أنا كنت متورطاً في ملحمة أخرى.

أرسلت خلف النادلة، وكانت كالميثولوجيا الكلاسيكية القادمة من العالم السفلي، طلبت القهوة، وذهبت النادلة للصلاة.

في الواقع لم أكن أحب القهوة، ولكنها جاءتني على هيئة راقصة غجرية، ارتشفت رشفة منها أثارت خيالات جامحة، فرأيتك بين ملحمتي هوميروس الشهيرتين "الإلياذة والأوديسة".

نفضت رأسي.. وقلت لنفسي: "القهوة الغجرية.. جلبت بصحبتها أشياء غير عاديّة!! فكيف هيئ لي أني رأيتك؟! أم أنني أصبحت لست عاديّاً!!"، هربت نحو الجريدة التي بين يدي، وإذا بأحرفك تعترضني في كل مكان فيها!

خرجت الى الشارع هربا منك وإليك دون تفكير، دون جنون، دون أمل يومض، وحزن يفور. وأينما استوقفتني غيمة أو نحلة، طفلة أو زهرة، ورقة أو صخرة رأيتك فيها!

أعييت بلوثة تسريحة أحرفك، وجلست بجانب الصخرة أنظرك متلبكاً! فأنا لم أختر هذه الحكاية، وأشعر بالذنب لكتابة هذه البرقية. لكني أريد فقط أن أعبر لك عما أشعر به تجاهك. هُيام لن أشفى منه إلا حينما أراك، وأعلم يقيناً أن هلاكي سيكون حينها، لكن ماذا أصنع ببقعة في ناسوتي لا يملؤها إلا أنت..

بقلم عبدك يا جليس قلبي ومن علّم بالقلم، إلهي.. حبيبي.. ومولاي.. عندما تناديني يوم الحساب، أرجوك أن تحقق لي غايتي وترفع الحجاب فيما بيني وبينك لأنظر إليك.. واشف صدر عبدك الذي مات في الدنيا شوقاً إليك..

بقلم عبدك المشغول بحبك / محمد نبيل كبها

الفهرس

إهداء 5

المقدمة بقلم الكاتبة التونسية "رتيبة سليم" 6

توطئة 10

القصة "خوذة الإله" 12

برقية إلى الله 29